

الهدايات القرآنية

دراسة تطبيقية

[التمهيد ومقدمات السور]

[التمهيد]

المبحث الأول: التعريف بالهدايات القرآنية

أولاً: تعريف الهدايات في اللغة:

الهدايات جمع هداية، مصدر الفعل هدى، كألهدى مصدر للفعل هدى أيضاً، يقال: هداه يهديه هدىً، وهدياً، وهدايةً، وهديةً^(١).

وقد ذكر أهل اللغة للفظ (هدى) عدة معانٍ، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) رحمه الله: (الهدى: نقيض الضلالة. هدى فاهتدى. والهادي من كل شيء: أوله. أقبلت هوادي الخيل، أي: بدت أعناقها. وقد هدت تهدي؛ لأنها أول الشيء من أجسادها، وقد تكون الهوادي أول رجيل يطلع منها؛ لأنها المتقدمة. وسميت العصا هادياً لأن الرجل يمسكها فهي تهديه، تتقدمه. والدليل يسمى هادياً، لتقدمه القوم بهدايته. والهادي: العنق والرأس)^(٢).

ويلاحظ أن معنى الهدى في كلام الخليل رحمه الله يدور حول: ما يناقض الضلالة، والأولية أو التقدم، والإرشاد، والعلو والرفعة.

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) رحمه الله: (الهاء والذال والحرف المعتل: أصلان، أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر بعثة لطف، فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي: تقدمته لأرشدته... والأصل الآخر الهدية: ما أهديت من لطف إلى ذي مودة، يقال: أهديت أهدي إهداءً)^(٣).

وقال الراغب (ت ٥٠٢هـ) رحمه الله: (الهداية دلالة بلطف، ومنه: الهدية، وهوادي الوحش. أي: متقدماتها الهادية لغيرها، وخص ما كان دلالة بهدیت، وما كان إعطاءً بأهدیت)^(٤).

ومن المعاني التي يدل عليها لفظ هدى: (الهدى: البيان، والهدى: إخراج شيء إلى شيء، والهدى أيضاً: الطاعة والورع)^(٥).

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ٢٠١/٦؛ والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ١٣٤٥.

(٢) العين، ٧٨/٤.

(٣) مقاييس اللغة، ٤٢/٦، ٤٣.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٣٥.

(٥) تهذيب اللغة، ٢٠١/٦.

والهداية تستعمل في الدلالة الحسية، وفي الدلالة المعنوية؛ (فيقال: هديته إلى الطريق وللطريق، وهداه الله إلى الإيمان)^(١).

وعند التأمل في المعاني اللغوية المذكورة للفظ (هدى) يتبين أنها ترجع إلى الإرشاد، وهو الأصل الجامع لمعانيها بجميع صيغها ومشتقاتها، وما عداه من المعاني يكون منقولا عنه.

قال ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) رحمه الله: (والهداية في اللغة الإرشاد، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تؤولت رجعت إلى الإرشاد)^(٢)، وقال الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) رحمه الله معقبا على كلامه: (وهو صحيح، ولم يذكر أهل اللغة فيها إلا أنها بمعنى الإرشاد، والأصل عدم الاشتراك)^(٣).

وقد وردت كلمة الهدى ومشتقاتها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة تزيد على ثلاث مئة موضع، وذكر لها علماء الوجوه والنظائر وجوها عدة، من أبرزها وأهمها:

١ - الإرشاد: ومنه قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، أي: أن يرشدني^(٤).

٢ - الإلهام: ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي: ألهم كيفية المعيشة^(٥).

٣ - البيان: ومنه قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [لقمان: ٥]، أي على بيان من ربهم، وقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]، أي بينا لهم^(٦).

٤ - الدليل والبينة: ومنه قول الله تعالى: ﴿أَوَأَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، أي: إن لم تكن هذه نارا فعلي أرى من يدلني على النار^(٧).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ٦٣٦/٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٧٣/١.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٣١٢/٥.

(٤) ينظر: التصاريف (تفسير القرآن مما اشبهت أسماءه وتصرفت معانيه)، يحيى بن سلام، ص ١٦٥؛ والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، الدامغاني، ص ٤٥٧.

(٥) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ص ٤٥٨؛ ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص ٦٢٩.

(٦) ينظر: التصاريف، ص ١٦١؛ ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٦٢٦.

(٧) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٦٢٩؛ ومفردات القرآن، الفراهي، ص ٣٢٨.

٥ - المعرفة: ومنه قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَتِ وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، أي: يعرفون الطرق^(١).

٦ - الاستبصار: ومنه قول الله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتِ تَجَدُّهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، أي: وما كانوا مستبصرين^(٢).

٧ - التعليم: ومنه قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، أي: ويعلمكم^(٣).

٨ - الصواب: ومنه قول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق: ١١]، أي: على الصواب والسداد^(٤).

٩ - التوفيق: ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، الهداية هنا بمعنى التوفيق، وانشرح الصدر للخير، وهذا لا يقدر عليه إلا الله^(٥).

١٠ - السنة: ومنه قول الله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أي: مقتدون مستنون بسنتهم^(٦).

١١ - الطريق الواضح: ومنه قول الله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧]، أي: طريق واضح موصل للمقصود^(٧).

١٢ - الثبات: ومنه قول الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، أي: ثبتنا عليه^(٨).

١٣ - الدعوة: ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمًا يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]، أي: يدعون، وقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، أي: داع^(٩).

(١) ينظر: الوجوه والنظائر، العسكري، ص ٤٩٨؛ والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ص ٤٥٦.

(٢) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٦٢٩.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٦٣٠.

(٤) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٦٣٠.

(٥) ينظر: التصاريغ، ص ١٦٧؛ ومفاتيح الغيب، الرازي، ٥/٢٥.

(٦) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ص ٤٥٨.

(٧) ينظر: مفردات القرآن، ص ٣٢٩؛ وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/٤٥١.

(٨) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٦٣٠؛ والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/٩٧٨.

١٤ - الإصلاآ: ومنه قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، أي: لا يصلأ^(٢).

و(من خلال الاستقراء والتتبع نجد أن كلمة "الهدى" جاءت في القرآن الكريم بمعان تتوافق مع اللغة وتزيد عليها، تتوافق معها في الدلالة والإرشاد إلى المطلوب، والتي منها: البيان، المعرفة، والتعليم، والاستبصار، والدعوة، والسنة، وهذه كلها من العبد، وهي وسائل للإرشاد العام، وأضاف القرآن الكريم على معنى الهداية في اللغة: الإلهام، والتوفيق، والثبات والزيادة، وهذه كلها من الله تعالى)^(٣).

(١) ينظر: التصاريؑ، ص ١٦٣؛ والوجه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ص ٤٥٦.

(٢) ينظر: التصاريؑ، ص ١٦٩ ونزهة الأعين النواظر في علم الوجه والنظائر، ص ٦٢٩.

(٣) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، د. طه عابدين، د. ياسين قاري، د. فخر الدين الزبير، ٣٦/١.

ثانياً: تعريف الهدايات القرآنية في الاصطلاح:

هذا المصطلح لم يظهر إلا مؤخراً، ولذلك لا نجد له تعريفاً ولا ضابطاً في كتب المتقدمين، وإن وجدنا تعريفاً لمفرده وهو الهداية^(١)، ومع ذلك لم يقصدوا بها هذا العلم. وليس المقصود بالهدايات هنا الهدى الذي هو أثر القرآن وغايته؛ فهذا باب آخر، والقرآن كله هدى في سماعه وقراءته وحفظه وتدبره وتفسيره والعمل به، وإنما المقصود بالهدايات القرآنية اصطلاح خاص من الناحية العلمية.

والتعريف المختار للهدايات القرآنية هو: (استخراج الإرشادات من الآيات القرآنية بدلالة ظاهرة أو خفية وفق منهج علمي)^(٢).

وهذا التعريف يبين موضوع علم الهدايات: وهو الإرشادات المستفادة من الآيات، وطرق الوصول إليها: وهي الدلالات بأنواعها من اللغة والأدلة والقرائن والأصول، وضوابط ذلك: وهو المنهج العلمي المسلوك^(٣).

والإرشادات هي الغاية التي يتوصل إليها بهذا العلم؛ فالقرآن الكريم يشتمل على أحكام ومواعظ وتوجيهات، والهداية دليلنا إليها، وإرشادات القرآن الكريم توصل لكل خير؛ لأنَّ القرآن الكريم جاء ليهدي للتي هي أقوم فيما يحقق سعادة الدنيا والآخرة؛ فلا يهدي إلا إلى الخير والمعروف، كما أنها تمنع من كل شر؛ لأنَّ القرآن الكريم يمنع بهدايته من سلوك السبل المعوجة التي توصل إلى الضلال والشر والشقاء، فاتباع هدايات القرآن الكريم هو الموصل إلى الصراط المستقيم، والعاصم من الغواية والضلال^(٤).

وهذه الإرشادات قد تكون ظاهرة واضحة، وقد تكون خفية دقيقة تحتاج إلى تأمل ونظر واستنباط.

(١) هناك تعريفات عديدة للهداية في الاصطلاح، تدور في أغلبها حول الدلالة للوصول إلى المطلوب، سواء حصل الوصول، أو لم يحصل. ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص ٢٥٦؛ والكلبيات، الكفوي، ص ٩٥٢؛ والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ١/ ١٨٨.

(٢) هذا التعريف هو الذي اختاره د. فخر الدين الزبير في كتابه (المبادئ العشرة لعلم الهدايات القرآنية) ص ١٢، وأحال على كتاب (الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية) ٤٤/١، وذكر أنه عدل في التعريف بما يزيده ضبطاً، ويدفع عنه الاعتراضات.

(٣) ينظر: المبادئ العشرة لعلم الهدايات القرآنية، ص ١٣.

(٤) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، ٤٦/١، ٤٧.

والقيد الأخير (وفق منهج علمي) مهمٌ في التعريف لإخراج ما كان مبنياً على طرق غير صحيحة، كالإشارات البعيدة التي ذكرها بعض المفسرين، أو التفسيرات الباطنية التي يفسر بها بعض الفرق المنحرفة القرآن الكريم، وغير ذلك مما لم يعتمد على طرق التفسير الصحيحة.

ثالثاً: الفرق بين الهدايات القرآنية والمصطلحات المقاربة:

١- الفرق بين الهدايات والتفسير:

التفسير في اللغة: من الفسر، و(الفسر: البيان. وقد فسرت الشيء أفسره بالكسر فسراً. والتفسير مثله)^(١)، (وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته)^(٢).

وأما تعريف التفسير في الاصطلاح فقد اختلف فيه، فقصره بعضهم على بيان المعاني، ومعرفة مراد الله تعالى بكلامه، ومنهم ابن جزى الكلبي (ت ٧٤١هـ)^(٣).

ومنهم من توسع في علم التفسير فأدخل القراءات، والاستنباط، والإعجاز، وغير ذلك، ومنهم أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)^(٤).

والراجح أن التفسير هو علم يبين معاني القرآن الكريم؛ لما يأتي:

- أنه المتوافق مع تعريف التفسير في اللغة.

- أنه الحد المتفق عليه بين العلماء.

- هو الذي سار عليه السلف في طريقتهم لتفسير القرآن الكريم.

- هو سبيل المفسرين؛ فإنهم يهتمون بتوضيح المعاني، وما يذكرون بعد ذلك من أسباب نزول، وأوجه قراءات وإعراب وبلاغة وغير ذلك؛ إنما هو في سبيل خدمة بيان المعاني^(٥).

وبعد تحديد مفهوم كل من التفسير والهدايات فإننا نقول:

علم الهدايات يأتي بعد علم التفسير، وهو معتمد عليه وملتصق به؛ لأن علم التفسير يقف غالباً عند بيان المعنى؛ وعلم الهدايات هو خلاصة ما جاء في معاني الآية من هداية وإرشاد، فالتفسير بيان للمعنى، والهدايات دلالات مستفادة من ذلك المعنى، فعلم التفسير هو الأصل لعلم الهدايات، والهدايات هي الثمرة المترتبة على فهم المعنى^(٦).

ومع كون الصلة بين التفسير والهدايات وثيقة جداً إلا أن بينهما فرقاً، ومن ذلك:

(١) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، ٧٨١/٢.

(٢) تهذيب اللغة، ٢٨٣/١٢.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ١٥/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط، ٢٦/١.

(٥) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، ٥٢/١، ٥٣.

(٦) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، ٥٤/١.

- علم التفسير يهتم ببيان المعاني غالباً؛ بينما علم الهدايات يهتم بما تهدي إليه تلك المعاني.
- علم التفسير معتمده الأول في بيان المعاني هو تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بالمأثور عن السلف، ثم باللغة، ثم بالرأي والاجتهاد؛ بينما علم الهدايات معتمده الأول في الوصول إلى الهدايات هو الاجتهاد والتدبر الذي يعتمد على فهم المعنى.
- علم التفسير تظهر فيه قدرة المفسر وتميزه بمدى التزامه بأفضل طرق التفسير وقدرته في الترجيح؛ بينما علم الهدايات تظهر فيه قدرة المفسر وتميزه بقدر توظيفه لمعاني الآية أو السورة في الدلالات والإرشادات.
- علم التفسير مقدمة لعلم الهدايات ووسيلة إليه، وعلم الهدايات ثمرة وغاية.
- لم يحظ علم الهدايات بما حظي به التفسير من تأصيل وتطبيق.
- قد يستدعي علم التفسير البسط والتطويل في بيان المعاني، بينما أسلوب الكتابة في علم الهدايات يميل غالباً إلى الاختصار والتلخيص والتركيز^(١).

٢- الفرق بين الهدايات والاستنباط:

الاستنباط لغة: من نَبَطَ، وهي: (كلمة تدل على استخراج شيء، واستنبطت الماء: استخرجته)^(٢)، (واستنبط الفقيه: إذا استخراج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه. وقال الله تعالى: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣])^(٣)، (وكل مستخرج شيئاً كان مستترا عن أبصار العيون أو عن معارف القلوب، فهو له مستنبط)^(٤).

وأما الاستنباط في الاصطلاح فهو: (استخراج ما وراء ظواهر معاني الألفاظ من الآيات القرآنية)^(٥).

(١) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، ٥٤/١، ٥٥.

(٢) مقاييس اللغة، ٣٨١/٥.

(٣) تذيب اللغة، ٢٥٠/١٣.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٥٥/٧.

(٥) معالم الاستنباط، (بحث محكم منشور ضمن أبحاث مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الرابع، السنة الثانية، ذو الحجة ١٤٢٨هـ)، د. نايف الزهراني، ص ٢٠.

وبناء على ذلك: فالعلاقة بين الاستنباط والهدايات وثيقة جداً؛ فالاستنباط من وسائل الوصول إلى المعاني الخفية، والهدايات الدقيقة، ولا يمكن استكمال هدايات الآية بدون استنباط، ولكن لما كان بعض الهدايات لا يحتاج إلى استنباط ودقة نظر وتأمل؛ صار بين الاستنباط والهدايات عموم وخصوص، فالهدايات تتجه نحو توظيف المعاني الظاهرة والخفية في الدلالات؛ بينما يتجه الاستنباط نحو المعاني الخفية والدقيقة^(١).

٣- الفرق بين الهدايات والتدبر:

التدبر لغة: من دبر، والدال والباء والراء أصل هذا الباب، وهو آخر الشيء وخلفه، خلاف قبله^(٢)، (والتدبير في الأمر النظر إلى ما تؤول إليه عاقبته)^(٣).

وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) رحمه الله: (تدبر الأمر: تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه)^(٤).

و التدبر يحتاج إلى جهد في توظيف الذهن، ولذلك جاء على صيغة التفعّل، ليدل على تكلف الفعل، وحصوله بعد جهد، وتدبر كلام الله تعالى وسيلة لكل خير، كما أنه وقاية من كل شر، وكذلك الهدايات القرآنية إذا استخرجت بطريقة صحيحة.

وهناك علاقة وثيقة بين التدبر والهدايات؛ لأن استخراج الهدايات يحتاج إلى التأمل واستعمال الفكر للوصول إليها؛ ولذلك لا يمكن استيعاب ما في الآية من الهدايات دون تدبر معانيها، ومن هنا يتبين أن الحصول على الهدايات يأتي بعد التدبر؛ فالعلاقة بينهما علاقة الوسيلة بالمقصد.

(١) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، ٥٧/١، ٥٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ٣٢٤/٢.

(٣) مختار الصحاح، الرازي، ص ١٠١.

(٤) الكشف، ٥٤٠/١.

المبحث الثاني: أهمية الهدايات القرآنية

تكتسب الهدايات القرآنية أهميتها بالنظر إلى عدة اعتبارات، وهي: اعتبار مصدرها، ووصفها، وهدفها، وأثرها، وبيان ذلك في الآتي^(١):

أولاً: اعتبار مصدرها:

مصدر الهدايات القرآنية وموضوعها القرآن الكريم، والذكر الحكيم، أصدق كلام، وأفصح بيان، وأبلغ برهان، كلام الله رب العالمين، والذي جمع الله تعالى فيه كل علم نافع، وحكمة صالحة، وهداية راشدة، ودلالة موصلة لكل خير، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، والله عز وجل قد بين في كتابه كل ما تحتاجه الأمة لصلاح أمرها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وكون الهدايات قرآنية؛ فهي ربانية المصدر، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ لَتَنْزِيلٍ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]، وربانيتها تجعلها الحق الذي يجب اعتقاده، والسير عليه، وهذا العمق الرباني للهدايات جعل لها أهمية كبيرة؛ فإن كل ما ثبت للقرآن من فضائل ومنزلة؛ فهي ثابتة لهداياته المستخرجة بطرق صحيحة.

وإذا كان القرآن الكريم هو مصدر الهدايات القرآنية ومنبعها؛ فإن هذه الهدايات تدور حول ما دار عليه هذا الكتاب من الهداية في أوفى وأتم معانيها، وتتعلق بما تعلق به من الموضوعات، وتقصد إلى ما قصد إليه من الغايات والأهداف.

وتبرز علاقة الهدايات القرآنية بمصدرها من خلال ثلاثة وجوه:

أولها: أن مقصودها تأمل دلالة الآية، الذي هو مقصود إنزال القرآن، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّدُبُرِ وَأَيْتِهِ وَلَيْسَ ذِكْرُ أُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].
الثاني: أنها نتيجة لفهم الآية؛ فهي كالترجمة لتفسيرها.

(١) للاستزادة حول أهمية الهدايات القرآنية ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، ٧٢/١ - ١٠٠.

الثالث: سهولة تطبيقها على الواقع، ومعالجتها لكثير من الأزمت القائمة والمشكلات المتوقعة؛ فهي تطبيق عملي لبيان القرآن الكريم، وتقريب لفظي لمعانيه وأحكامه وإرشاداته؛ ليسهل على العبد التعامل مع آيات القرآن الكريم، ورسم منهج حياته من خلال هداياتها.

ثانيا: اعتبار وصفها:

وصف الله تعالى القرآن الكريم الذي هو مصدر الهدايات القرآنية بصفات جليلة كريمة؛ فهو الكتاب المستقيم الذي لا عوج له، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ - ٢]، فكذلك هداياته مستقيمة؛ لأنها مستنبطة من كتاب مستقيم، لا اعوجاج فيه البتة، كما أنها عظيمة الفوائد كثيرة الخير؛ لأنها مستنبطة من كلام رب العالمين الموصوف بأنه كريم ومبارك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

ووصف الله تعالى القرآن بأنه ذكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]، أي: (تذكرة لهم، بما هو صلاحهم ونجاتهم من النار ودخولهم الجنة، وإنذارهم وتبشيرهم، فكل الصلاح فيه)^(١)؛ كذلك هداياته مذكّرة، تذكّر العباد بمصالحهم وما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم وما به تكون سعادة الدارين.

ووصف الله تعالى القرآن بأنه ميسر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، يسره لفظاً، ويسره معنى، ويسره تدبراً؛ فألفاظه ميسرة للتلاوة والحفظ، ومعانيه للتدبر والاستنباط، وأحكامه للعمل والتطبيق؛ وكذلك هداياته ميسرة، سهلة الفهم، شديدة التعلق بالقلب، قوية التأثير على النفس؛ لأنها مأخوذة من كتاب وصف باليسر في كل ما يتعلق به.

ووصف الله تعالى القرآن بأنه نور مبین، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، ووصفه بأنه مجيد، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]، ووصفه بأنه هدى وبشرى، قال تعالى: ﴿وَهَدَىٰ وَبُشِّرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]، ووصفه بأنه موعظة، قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، ووصفه بأنه عزيز، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، ووصفه بأنه شفاء ورحمة، قال تعالى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ

(١) معاني القرآن وإعراجه للزجاج، ٣/١٣٠.

الْقُرْآنَ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿[الإسراء: ٨٢]، إلى غير ذلك من الأوصاف، وجميع ما وصف به القرآن الكريم فإنه وصف لهداياته الكريمة المستنبطة بالطرق الصحيحة^(١).

ثالثاً: اعتبار هدفها:

المقاصد التي تقوم عليها الهدايات القرآنية، والأهداف التي تدعو لها عالية غالية، ومنها:

- إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى ما يحقق سعادتهم في دنياهم وأخراهم، وهذا من أعظم أهداف نزول القرآن، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

- هداية العباد للتي هي أقوم؛ فالنظريات المادية رغم تعدد سبلها وتنوع أساليبها إلا أنها غير مسددة، أما الهدايات القرآنية فطريقها في المعالجة والتأثير أسد وأعدل وأصوب وأسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، (وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة)^(٢).

- تحقيق الشفاء من طرق الانحراف والشفاء إلى طرق الهداية والخير والفلاح، وكذلك شفاء أمراض الأفراد والمجتمعات، سواء كانت في الأرواح أو الأجساد أو الأفكار، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، (ولا يكون شفاء لجميع ما في الصدور إلا وفيه تبيان كل شيء)^(٣).

(١) المراد بالهدايات هنا الهدايات المبنية على أسس صحيحة، واستدلالات صائبة، تكسبها صبغة النسبة للقرآن الكريم، كالهدايات التي هي محل اتفاق بين العلماء المعترين، وهناك نوع من الهدايات يدخل تحت الاجتهاد ووجهات النظر؛ فهذا النوع يمكن أن يندرج تحت النصوص التي تحض على تدبر القرآن وطلب العلم والازدياد منه، ويكتسب أهميته من هذه الحيثية، لا أن يوصف بما وصف به القرآن الكريم.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ١٧/٣.

(٣) الموافقات، الشاطبي، ١٨٤/٤.

● سدُّ حاجة الأمة إلى الهدايات القرآنية؛ فالأمة الإسلامية في غاية الافتقار إلى هدايات القرآن، فالحاجة إليها كبيرة لا سيما في هذا العصر الذي تعقدت فيه المشكلات الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية وغيرها، مما يتطلب البحث في هدايات الآيات، واستخراج معالجات شافية لما تحتاج الأمة إليه؛ فكتاب الله صالح لكل زمان ومكان، قال الله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْقَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، والأمة في حاجة إلى هدايات القرآن، تغذية للأرواح، وتركيزاً للنفوس.

رابعاً: اعتبار أثرها:

١. أثر الهدايات القرآنية على الفرد:

الهدايات القرآنية باعثة على خشية الله تعالى واستشعار مراقبته في السر والعلن، مما ينعكس سلوكاً إيجابياً على الفرد، وهدايات القرآن في حقيقتها للمسلم هي كروحه التي بين جنبيه، و هي التي تسد أقوال من اتبعوها، وتقوم عملهم، وتهدى عقولهم، وترتب حياتهم بما يحقق أمنهم وسعادتهم، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، قال السعدي (ت ١٣٧٦هـ) رحمه الله في تفسير هذه الآية: (فمن اتبع هداياه، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل مكروه، من الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء)^(١)، و من اتبع الهدايات القرآنية استقام أمره وهدى للتي هي أقوم في جميع أموره، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٢. أثر الهدايات القرآنية على الجماعة:

الهدايات القرآنية تبلغ كل كمال وسعادة، وتصون عن كل فساد وانحراف، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، ويظهر أثر الهدايات في تحويل مسار المجتمع السلبي إلى مسار إيجابي، ومن خراب العقائد والأخلاق والعلاقات الإنسانية إلى بنائها، وإعادة إحيائها؛ فقد استطاع القرآن الكريم بهداياته أن يحول العرب من أمة متباغضة متقاتلة متشتتة إلى خير أمة أخرجت للناس، وأن يجعل حياتهم منظمة مهذبة وفق منهجه المستقيم.

وإذا كان القرآن الكريم بهداياته استطاع أن يحدث ذلك الأثر في تاريخ أمة الإسلام فهو قادر على إحداثه في أي وقت لو رجع الناس إليها بصدق وعزيمة، فالقرآن الكريم منزل من

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٠.

عند الله العليم بعباده وأحوالهم، وبما يصلحهم وينفعهم، قال الله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢].

وحاجة الأمة اليوم ماسة إلى الهدايات القرآنية، وأهميتها في المجتمع في هذا الوقت أكثر أهمية من أي وقت مضى، لا سيما في ظل التحديات المعاصرة؛ حتى تتقوى بمهامها العظيمة لحفظ هوية الشباب أفرادا وجماعات، ولدعم أمن المجتمع وسلامته، ووقاية النشء من الزيغ والانحراف، وإرساء القيم التربوية الصالحة.

المبحث الثالث: مناهج العلماء في استخراج الهدايات القرآنية

المقصود بمناهج العلماء الطرق والخطوات التي سلكوها للوصول إلى استخراج الهدايات القرآنية، سواء بالنظر في تلك الطرق مجتمعة أو متفرقة، بحسب ما يقتضيه المقام، وتنبع أهمية دراسة هذه المناهج مما يأتي:

- أنها تكسب الباحث قوة في الجانب العلمي.
- أنها تصقل ملكته للوصول إلى نتائج تطبيقية عميقة.
- أنها تجمع للناظر رؤى متنوعة ومدارس متعددة في طريقة النظر التدبري.

والطرق التي سلكها العلماء في استخراج الهدايات القرآنية متنوعة، يمكن إرجاعها إلى خمس دوائر، تتفرع عن كل دائرة منها مجموعة من الطرق، وبيان ذلك فيما يأتي^(١):

أولاً: الطرق المتعلقة بالمفردة القرآنية:

١- الاعتماد على دلالات الألفاظ:

من صنوف إعجاز الكتاب العزيز ما تميزت به اللفظة القرآنية من خصائص فريدة، استقلت بها عن غيرها، خدمة للمقصد الذي وضعت له، يقول ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رحمه الله: (فمن فخامة الكلام وجلالة المتكلم به أن يدخل في اللفظة الواحدة جميع ما يصلح له؛ فيدل باللفظ القصير على المعاني الكثيرة العظيمة، فتجمع العموم والإيجاز والاختصار والبيان وحسن الدلالة، فتأتي بالمعنى طبق اللفظ، لا يقصر عنه، ولا يوهم غيره)^(٢).

والمقصود بدلالة الألفاظ ما ترشد إليه من المعاني، وفهم دلالة الألفاظ القرآنية هو المفتاح لفهم الآية واستخراج هداياتها، والألفاظ القرآنية لها تميزها الفريد في نفسها، وفي سياقها الذي وضعت فيه، وفي المقصد الذي اختيرت له.

وفهم معاني الألفاظ وفق دلالاتها في اللغة، ثم ضبط ذلك بمراعاة دلالاتها في السياق الذي وردت فيه؛ هو الطريق الأول الذي سلكه العلماء في استخراج الهدايات.

(١) هذه الطرق مأخوذة مما كتبه د. فخر الدين الزبير في بحثه ضمن (الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية)، وكذلك مما كتبه د. طه عابدين في بحثه (طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها)، مع بعض التعديلات أو الإضافات التي يستدعيها المقام، لا سيما الأمثلة على هذه الطرق.

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ٧٠٩/٢.

ودلالات الألفاظ باب واسع، ولها أقسام متعددة عند علماء التفسير والأصول واللغة، ومن أبرز تلك الدلالات ما يعبر عنه بدلالة المنطوق ودلالة المفهوم، فللألفاظ وجوه متعددة في الدلالة على المعاني، فقد تدل على المعنى بمنطوقها، وقد تدل عليه بمفهومها.

ودلالات الألفاظ على اختلاف أنواعها هي أول ما ينظر فيه مستنبط الهدايات القرآنية، فينبغي عند تدبر القرآن الكريم، والاهتداء بعظاته وأحكامه إعطاء الألفاظ حقها من الدلالة، وتوفيتها ما لها من المعاني، سواء في ذلك الأسماء، أو الأفعال، أو حروف المعاني بأنواعها.

ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى في حق المنافقين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣]؛ الآية تفيد أن الحكمة كل الحكمة إنما هي في الإيمان بالله، واتباع شريعته، ومأخذ هذا من مفهوم المخالفة؛ لأن الكافر والمنافق المخالف للشريعة سفیه؛ فيقتضي أن ضده يكون حكيماً رشيداً^(١).

ومن الأمثلة أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَآرَهُبُونَ﴾ [النحل: ٥١]؛ قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله في تفسير الآية: (وإذ نھوا عن اتخاذ إلهين؛ فقد دل بدلالة الاقتضاء على إبطال اتخاذ آلهة كثيرة)^(٢).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]؛ أخذت فضيلة التواضع من اشتقاق لفظ ﴿الْمُخْبِتِينَ﴾، قال الزجاج رحمه الله: (قيل: المخبثون المتواضعون، وقيل: المخبثون المطمئنون بالإيمان بالله عز وجل، وقيل: المخبثون الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا، وكل ذلك جائز، واشتقاقه من الخبت من الأرض، وهي المكان المنخفض منها، فكل مخبت متواضع)^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ لفظة "تبارك" تشمل (دوام وجوده، وكثرة خيره، ومجده وعلوه، وعظمته وتقديسه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه، وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن كلها

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم (الفاحة - البقرة)، ابن عثيمين، ٥١/١.

(٢) التحرير والتنوير، ١٧٣/١٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، ٤٢٧/٣.

أنها تكون دالة على جملة معان فيعبر هذا عن بعضها وهذا عن بعضها، واللفظ يجمع ذلك كله^(١).

ومن الأمثلة أيضا استعمال لفظ ﴿التَّجْدِينَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]؛ يقول الرازي (ت ٦٠٦هـ) رحمه الله: (النجد الطريق في ارتفاع؛ فكأنه لما وضحت الدلائل جعلت كالطريق المرتفعة العالية؛ بسبب أنها واضحة للعقول كوضوح الطريق العالي للأبصار)^(٢).

٢- النظر في اختلاف القراءات:

إن تأثير القراءات القرآنية في استنباط الهدايات هو تأثير إثراء وتعدد، فالقراءة الأخرى قد تحمل هداية جديدة لا تناقض غيرها، بل تضاف إليها.

وذلك لأن تنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات، كما أن القراءات يبين بعضها بعضاً^(٣)، وإذا ظهر اختلاف القراءتين مع بعضهما وهما ثابتتان؛ فهذا يكون من باب اختلاف التنوع والتغاير لا التضاد والتناقض؛ لأن هذا محال أن يكون في كلام الله، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]^(٤).

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]؛ في الآية إثبات صفتي (الملك) و(الملك) لله تعالى، وهذا مأخوذ من القراءتين المتواترتين: ﴿مَلِكٍ﴾ و﴿مَلِكٍ﴾^(٥)؛ فالله سبحانه وتعالى قادر على التصرف ملكاً، وكذلك أمراً وتديراً؛ وذلك لدلالة قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ على التصرف في ملكه، ودلالة قراءة ﴿مَلِكٍ﴾ على قدرته على التصرف بالأمر والتدبير، والقراءتان منزلتان، والجمع بينهما يفيد هذا المعنى^(٦).

كما أنه يؤخذ من الجمع بين القراءتين أن الله سبحانه وتعالى مالك وملك في الدنيا والآخرة؛ فملكه جل وعلا ملك حقيقي؛ لأن من الخلق من يكون ملكاً، ولكن ليس

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن القيم، ص ٣٠٨.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٦٧/٣١.

(٣) ينظر: قواعد التفسير، د. خالد السبت، ٨٨/١، ٩٠.

(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٤٩/١.

(٥) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف: ﴿مَلِكٍ﴾ بالالف، وقرأ الباقر: ﴿مَلِكٍ﴾ بدون ألف. ينظر: النشر في القراءات العشر، ٢٧١/١.

(٦) ينظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، الغزنوي، ٧/١.

بمالك، حيث يسمى ملكاً اسماً، وليس له من التديير شيء، ومن الناس من يكون مالكا، ولا يكون ملكاً كعامة الناس؛ ولكن الرب عز وجل مالك ملك^(١).

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]؛ في قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ قراءتان^(٢): الأولى: بالياء على سبيل الالتفات، والخروج من ضمير المتكلم إلى الغيبة للتنوع في الفصاحة، والثانية: بالنون (فنوفيههم) الدالة على المتكلم المعظم شأنه؛ اعتناء بالمؤمنين، ورفعاً من شأنهم؛ لأنهم معظمين عنده، ولم يأت بالهمزة كما في الآية السابقة في حق الكافرين؛ ليخالف في الإخبار بين النسبة الإسنادية فيما يفعله بالكافر وبالمؤمن، كما خالف في الفعل، ولأن المؤمن العامل للصلحات عظيم عند الله، فناسبه الإخبار عن المجازي بنون العظمة^(٣).

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلَمًا نَّهَجُورُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]؛ في قوله: ﴿نَّهَجُورُونَ﴾ قراءتان^(٤): الأولى: بضم التاء وكسر الجيم، من الإهجار وهو الإفحاش في القول، أي: تفحشون وتقولون الحنا، وذلك من صنيع أهل الشرك؛ إذ كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه وأهل الإسلام، مما يدعو للصبر على أذاهم، والثانية: بفتح التاء وضم الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونها، وقيل: هو من الهجر وهو القول القبيح، وقيل: تَهْزَوْنَ وتقولون ما لا تعلمون^(٥)، وكلها من صفات الكافرين محادة لله ولدينه.

٣- النظر في دلائل الرسم:

يدرك الناظر في كتاب الله تعالى أنه قد كتبت بعض ألفاظه برسم مختلف عن الطريقة الإملائية المعروفة، وقد اختلف العلماء في الرسم العثماني، فذهب بعضهم إلى أنه اجتهادي تجوز مخالفته، وذهب الجمهور إلى أنه توقيفي يجب الالتزام به^(٦)، وبناء على القول بأنه توقيفي فإن كتابة القرآن الكريم بالرسم العثماني يمكن أن تستنبط منه الهدايات الدقيقة.

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم (الفاخرة - البقرة)، ابن عثيمين، ١٢/١.

(٢) قرأ حفص ورويس بالياء (فيوفيههم)، وقرأ البقية بالنون (فنوفيههم). ينظر: النشر في القراءات العشر، ٢٤٠/٢.

(٣) ينظر: البحر المحیط، ١٨١/٣؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلي، ٢١٦/٣.

(٤) قرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقر بفتح التاء وضم الجيم. ينظر: النشر في القراءات العشر، ٣٢٩/٢.

(٥) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٤٢٣/٥.

(٦) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٧٧/١ - ٣٨٦.

ومما ينبغي التنبيه عليه أنَّ هذا الاستنباط من باب الاجتهاد الذي تختلف فيه أنظار العلماء، كما أنه ينبغي البعد عن التكلف فيه.

ومن الأمثلة على ذلك حذف الألف في لفظ (باسم) في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾؛ ويؤخذ من هذا أنَّ التخفيف والتيسير على العباد مطلوب في الشريعة المطهرة، قال الرازي رحمه الله: (كلمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ مذكورة في أكثر الأوقات عند أكثر الأفعال، فلاجل التخفيف حذفوا الألف، بخلاف سائر المواضع فإن ذكرها قليل)^(١).

ومن الأمثلة أيضا زيادة الألف في لفظ (الظنون) في قوله تعالى: ﴿وَتُظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]؛ يقول البقاعي (ت ١٨٨٥هـ) رحمه الله: (وزيادة الألف في قراءة من أثبتها في الحالين، وهم المدنيان، وابن عامر، وشعبة: إشارة إلى اتساع هذه الأفكار، وتشعب تلك الخواطر، وعند من أثبتها في الوقف دون الوصل، وهم ابن كثير، والكسائي، وحفص: إشارة إلى اختلاف الحال تارة بالقوة، وتارة بالضعف)^(٢).

ومن الأمثلة أيضا زيادة الياء في لفظ (بأيد) في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]؛ وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء، وأنها لا تشبهها قوة؛ فإن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى^(٣).

ثانيا: الطرق المتعلقة بالجملة القرآنية:

١- الالتفات إلى تنوع الأساليب:

نزل القرآن الكريم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وأساليبه كثيرة متنوعة، وكل أسلوب له دلالاته وفائدته، فإذا ذكر في القرآن أسلوب التوكيد أو الالتفات أو المقابلة أو الاستفهام أو التقديم أو التأخير أو القصص أو التمثيل أو غيرها من الأساليب كان ذلك لغرض، ويتضمن هداية أو أكثر^(٤).

(١) مفاتيح الغيب، ١٠٣/١.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣٠٣/١٥.

(٣) ينظر: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المراكشي، ٩١/١؛ ومناهل العرفان في علوم القرآن، ٣٧٤/١.

(٤) للاستزادة حول أساليب القرآن الكريم ودلالاتها على الهدايات ينظر ما كتبه د. فخر الدين الزبير ضمن الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية، ٢٩٣/١ - ٣٦٨.

يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى: (وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهاك عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافيا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحا بذلك)^(١).

ومن الأمثلة على ذلك أسلوب الالتفات في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ فإنه يفيد تعظيم الله سبحانه وتعالى، وذلك لأنه صرح بالخطاب لما ذكر النعمة في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ثم عدل عن ذلك الخطاب فقال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؛ (لأنَّ الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب؛ فأسند النعمة إليه لفظاً، وزوى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً، فانظر إلى هذا الموضع، وتناسب هذه المعاني الشريفة ... وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب، ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة لتلك العلة بعينها، وهي تعظيم شأن المخاطب أيضاً؛ لأنَّ مخاطبة الرب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه)^(٢).

ومن الأمثلة أيضاً أسلوب التقديم والتأخير في قول الله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١، ١٢]، من المعلوم أنَّ قضاء الدين مقدَّم على الوصية في تركة الميت، ولكن تقديم الوصية في الآية فيه إشارة إلى أنَّ الوصية مظنة الإهمال، أو مظنة الإخفاء، ولذلك جاء التشديد في تنفيذها؛ لأنَّ إخراجها شاقُّ على النفس، فكان من الأسلوب البليغ الحكيم العناية بتنفيذها، وكان من مظاهر هذه العناية تقديمها في الذكر^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً أسلوب الحذف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ مَّضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥]، قال الزمخشري رحمه الله: (وورود الفعل غير معدَّى إلى المبيِّن؛ إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتننه الذكر، ولا يحيط به الوصف)^(٤).

٢- النظر في دلالة السياق:

(١) التحرير والتنوير، ٩٧/١.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٥/٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، ٥١٨/٩.

(٤) الكشف، ١٤٤/٣.

يعدّ السياق القرآني من أهم مقومات المفسر لفهم مراد المتكلم، ولا يكفي مجرد فهم اللفظ، (فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن؛ تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج. وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لا سيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية، فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين؛ فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون)^(١).

والسياق القرآني مهمٌ عند تدبر القرآن الكريم واستنباط هداياته؛ ولذلك كلما تأمل المستنبط في سياق الآيات، وطوف نظره في سباقها ولحاقها، انفتحت له جملة من معالم الهدايات، وأسرار الدلالات.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١]؛ الآية تفيد استعظام وقوع الجحد والإنكار وعدم الإيمان ممن قرأ في الكتب نعت رسول الله ﷺ وصفته، ولا تفيد تقييد النهي عن الكفر بحالة أوليتهم في الكفر؛ لأن السياق في استعظام وقوع الجحد والإنكار منهم^(٢).

قال ابن عاشور رحمه الله في تفسير الآية: (...) وصف ﴿أَوَّلَ﴾ يشعر بتقييد النهي بالوصف، ولكن قرينة السياق دالة على أنه لا يراد تقييد النهي عن الكفر بحالة أوليتهم في الكفر، إذ ليس المقصود منه مجرد النهي عن أن يكونوا مبادرين بالكفر ولا سابقين به غيرهم لقلة جدوى ذلك، ولكن المقصود الأهم منه أن يكونوا أول المؤمنين، فأفيد ذلك بطريق الكناية التلويحية... والمقصود من النهي توبيخهم على تأخرهم في اتباع دعوة الإسلام؛ فيكون هذا المركب قد كني به عن معنيين من ملزوماته، هما: معنى المبادرة إلى الإسلام، ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠]؛

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٩٤/١٥.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، ٤٨٤/٣.

(٣) التحرير والتنوير، ٤٦٠/١.

يؤخذ من الآية أَنَّ ابن السبيل يعطى من الزكاة ولو كان غنياً في بلده؛ لأنه لو كان يعطى لكونه فقيراً أو مسكيناً، لاكتفى سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾^(١).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ دل السياق هنا أن من الأسباب التي تورث الخشية العلم بخلق الله تعالى والتفكير فيه^(٢).

٣- النظر في المناسبات:

هذا العلم من العلوم المهمة لاستنباط الهدايات من الآيات؛ حيث يهتدي بها المفسر لاستخراج الهدايات، وجل المناسبات عبارة عن هدايات، يقول الرازي رحمه الله: (أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)^(٣).

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران: ١٤]؛ في الآية السابقة على هذه الآية ذكر للقتال، وكثيراً ما يقع للحظوظ النفسانية؛ فناسب هنا التنفير عنها، حتاً لهم على الإخلاص في كل ما يأتون ويدرون^(٤).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] بعد سرد سلسلة من قصص الأنبياء؛ إذ إنه سبحانه (لما بين فيما تقدم من الآيات حال الكفار الذين أهلكهم الله بالاستئصال مجملًا ومفصلاً أتبعه ببيان أن الغرض من ذكر هذه القصص حصول العبرة لجميع المكلفين في مصالح أديانهم وطاعاتهم)^(٥).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، قال أبو حيان رحمه الله: (ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضاً عن آيات الله تعالى ومعجزاته وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر

(١) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٢٩/١١، ٥٣٠؛ والإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، ص ١٤٣.

(٢) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، ١٠٦/٣.

(٣) مفاتيح الغيب، ١١٠/١٠.

(٤) ينظر: حاشية الشهاب على أنوار التنزيل للبيضاوي، ١٠/٣.

(٥) مفاتيح الغيب، ٣٢٣/١٤.

منه، ذكر حال من يثابر على تعلم آيات الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها؛ فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها^(١).

٤ - ورود أسماء الله الحسنى في الآيات:

مما يسترعي انتباه قارئ القرآن الكريم ختم كثير من آياته بأسماء الله الحسنى، ولا شك أن هذا التذييل ينطوي على حكمة إلهية، وفوائد دلالية، يلزم المتدبر أن يقف عندها، ويتأمل فيها، ويستنبط الدلالات والمعاني التي تومئ إليها، ومن ثم فهي باب عظيم لاستخراج الهدايات لمن وفق لاقتناصها واكتشافها.

ووجه ختم الآية المعينة بأسماء محددة من أسماء الله تعالى دون غيرها يتم تناوله ضمن المناسبات، ولكن أفرد هنا إبرازاً لأهميتها، ولظهور كثير من الهدايات المرتبطة بأسماء الله الحسنى التي تُختم بها الآيات، (وقد تكرر كثير من أسماء الله الحسنى في القرآن بحسب المناسبات)^(٢).

وأسماء الله الحسنى بالغة الذروة في الكمال؛ لتضمنها صفات الجلال، وإيرادها خلال الآيات يتضمن كثيراً من الدلالات والهدايات، وترداد قوة دلالاتها ومعانيها إذا اجتمعت، وهو سر اجتماعها في كثير من الآيات مناسبا لسياقها.

وفي هذا الاقتتان علاقة لطيفة بسياق الآية، وفيه تظهر الهدايات المعبرة عن عظيم المعاني، (فتجد آية الرحمة محتومة بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب محتومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر)^(٣)؛ لذلك اهتم العلماء باستخراج الهدايات بناء على التأمل في اقتتان أسماء الله الحسنى في مواضعها من القرآن الكريم.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، قال السعدي رحمه الله: (وكثيراً ما يقرن بين خلقه للخلق وإثبات علمه كما في هذه الآية، وكما

(١) البحر المحيط، ١٠/٣٥٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٩٤٥.

(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي، ص ٥٣.

في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]؛ لأن خلقه للمخلوقات، أدل دليل على علمه، وحكمته، وقدرته^(١).

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]؛ في الجمع بين الوصفين ﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران؛ فإذا اعترف العبد بذنبه، وطلب التجاوز عنه؛ فإن الله يتوب عليه ويحسن إليه؛ فالله سبحانه وتعالى ﴿هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]؛ ورد اقتران اسمه سبحانه: "الحكيم" باسمه سبحانه: "العلي" في القرآن مرة واحدة في هذه الآية، قال ابن عاشور رحمه الله: (أوثر هنا صفة: "العلي الحكيم" لمناسبتها للغرض؛ لأن العلو في صفة "العلي" علو عظيمة فائقة، لا تناسبها النفوس البشرية التي لم تحظ من جانب القدس بالتصفية، فما كان لها أن تتلقى من الله مراده مباشرة، فاقتضى علوه أن يكون توجيه خطابه إلى البشر بوسائط يفضي بعضها إلى بعض ... وأما وصف: "الحكيم" فلأن معناه: الممتقن للصنع، العالم بدقائقه، وما خطابه البشر إلا للحكمة إصلاحهم، ونظام عالمهم، وما وقوعه على تلك الكيفيات الثلاث إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقي خطابه، ووعيه دون اختلال فيه، ولا خروج عن طاقة الملتقيين)^(٣).

٥- الاستفادة من أوجه الإعراب:

الإعراب ركن المعنى، وعلاقته بالقرآن وثيقة، وهذا العلم غزير الفوائد، يتجلى فيه ضبط الكلمات شكلا، ومعرفة معاني الآيات تفسيرا، قال ابن فارس رحمه الله: (فأما الإعراب فبه تُمَيِّزُ المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين)^(٤).

ولاختلاف الإعراب أثره في تعدد المعاني التفسيرية، وهو تربة خصبة لتنوع الهدايات القرآنية.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٨.

(٢) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، ١/٦٣؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١/٧٣.

(٣) التحرير والتنوير، ١٥٠/٢٥.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة، ص ١٤٣.

والاختلاف في الإعراب قد يكون ناتجا عن اختلاف القراءات، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، في الآية إعرابان^(١): الأول: برفع (آدم) على أنه فاعل، ونصب (كلمات) على أنه مفعول به، ومما يستفاد من هذا الوجه الإعرابي قبول آدم عليه السلام للكلمات التي جاءتته من الله تعالى في شأن توبته؛ فقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ﴾ يجعله عليه السلام هو المتلقي يفيد الأخذ والقبول^(٢). الثاني: بنصب (آدم) على أنه مفعول به، ورفع (كلمات) على أنه فاعل، ويؤخذ من هذا تكرم آدم عليه السلام؛ حيث استقبلته الكلمات، وكأنها مكرمة له؛ لكونها سبب العفو عنه^(٣).

وقد يكون الاختلاف في الإعراب بسبب تعدد الآراء النحوية، ومما ينتج عنه الاختلاف في موضع الوقف، ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩]؛ في هذه الآية الكريمة يجوز أن يكون الوقف على قوله: ﴿خَاشِعِينَ﴾ و(اللام) في لفظ الجلالة من صلة ﴿يَشْتُرُونَ﴾، أي: لأجل الله لا يشترون، ويجوز أن يكون ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ تامما، ويكون التقدير: لا يشترون بآيات الله خاشعين لله، وقوله: ﴿خَاشِعِينَ﴾: حال من الضمير في يؤمن، وجاء جمعا على معنى "من"، ويجوز أن يكون حالا من الهاء والميم في ﴿إِلَيْهِمْ﴾ فيكون العامل ﴿أُنْزِلَ﴾، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بخاشعين^(٤).

ومن هدايات الوجه الأول بيان أثر الإخلاص لله في عدم تبديل الحق بالباطل، وكتمان الحق لأجل عرض من الدنيا قليل، ومن هدايات الوجه الثاني بيان أثر الخشوع لله في تحقيق الإيمان بالقرآن الكريم.

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَبْنَ لَكَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُوهُ هَنَيْكًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]؛ تفيد الآية استحسان الدعاء عند الأكل، وهذا يؤخذ من الوقف على ﴿فَكُوهُ﴾ ثم الابتداء بـ ﴿هَنَيْكًا مَرِيئًا﴾ على الدعاء، قال الأشموني (ت ٩٤٤ هـ) رحمه الله في بيان الوقوف في الآية: ﴿مَرِيئًا﴾ حسن، ومن وقف على ﴿فَكُوهُ﴾ وجعل ﴿هَنَيْكًا مَرِيئًا﴾ دعاء، أي: هناكم الله

(١) هذان الإعرابان وردا في قراءتين، فقد قرأ ابن كثير بنصب (آدم) ورفع (كلمات)، وقرأ الباقون برفع (آدم)، ونصب (كلمات) بكسر التاء. ينظر: النشر في القراءات العشر، ٢/٢١١.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/٥٧٩؛ والتفسير البسيط، الواحدي، ٢/٤٠٢.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١/٢٣٨.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، ١/٣٢٥.

وأمرأكم؛ كان جائزاً، ويكون ﴿هَيَّأَ مَرِيئًا﴾ من جملة أخرى غير قوله: ﴿فَكُوهُ﴾، لا تعلّق له به من حيث الإعراب، بل من حيث المعنى^(١).

ثالثاً: الطرق المتعلقة بأصول فهم الوحي:

١- التأمل في مجموع أدلة الكتاب والسنة:

الفهم السديد في جميع مسائل علوم الشريعة يكون بجمع ما فيها من النصوص، والتأليف بينها وتحليلها، واستنباط الهدايات القرآنية لا يخرج عن هذا الأصل؛ ولذلك فإن العلماء حين يستنبطون الهدايات القرآنية من الآيات يستحضرون ما يعضدها ويدل عليها من نصوص أخرى في الكتاب والسنة.

ومما يجب على المفسر أن ينظر إلى الآيات والأحاديث الصحيحة التي تلتقي في الموضوع نفسه مع الآية أو الآيات التي يفسرها حتى يكون تفسيره تفسيراً صحيحاً، وحتى يكون استدلاله بالآية واستنباطه الأحكام والهدايات صحيحاً.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]؛ تفيد الآية أن من لم يؤمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ، ويتابعه على ما بعثه الله به، ووافى الله تعالى يوم القيامة على ما هو عليه، فإنه لا ينفعه قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه^(٢)، وهذه الآية وإن كانت عامة في ظاهر التلاوة فإن معناها الخصوص في من كفر ومات على كفره، وذلك لقول الرسول ﷺ: ((لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً))^(٣)، وقد قيدت الشفاعة في آيات أخرى بالإذن كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، فيحمل المطلق على المقيد، وإلا لكان الإسلام مع ارتكاب بعض المعاصي مساوياً للكفر^(٤).

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ١/١٧٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/٢٥٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، (كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، ح: ١٩٩، ١/١٨٩).

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/٦٣٦.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ١/٤٨٧.

واعتمادا على مجموع أدلة الكتاب والسنة يتحصل أن الشفاعة منفية عن الكافرين ثابتة للمؤمنين.

ومن الأمثلة أيضا قول الله تعالى بعد منع النبي وتحرمة: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]؛ قال ابن عاشور رحمه الله: (ووقوع جناح في سياق النفي بـ "ليس" يقتضي العموم؛ فيفيد تعميم انتفاء الإثم عن العمل الخطأ، بناء على قاعدة عدم تخصيص العام بخصوص سببه الذي ورد لأجله، وهو أيضا معضود بتصرفات كثيرة في الشريعة، منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقول النبي ﷺ: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه^(١))).^(٢)

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾ [القلم: ١٧ - ١٨]؛ قال القرطبي رحمه الله: (في هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤخذ به الإنسان؛ لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِطُلُوعِ ذُنُوبِهِ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)) قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: ((إنه كان حريصا على قتل صاحبه)).^(٣)^(٤)

٢- الاستفادة من آثار الصحابة والتابعين:

الصحابة والتابعون هم أعلم الأمة بعد رسولها ﷺ بكتاب الله جل وعلا؛ لعدالتهم، ولأنهم عرب خلص، نزل القرآن بلسانهم، ولأنهم حضروا الوحي، وشهدوا وقائع التنزيل، ومواقع النزول، ولكمال عقولهم، وصحة فهمهم، وسعة مداركهم، فأقوالهم مرجع لمن بعدهم، ومورد معين لمن ينهل من علم تفسير القرآن الكريم.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، (أبواب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، ح: ٢٠٤٥، ٢٠١/٣)؛ والحاكم في مستدركه، (كتاب: الطلاق، ح: ٢٨٠١، ٢١٦/٢)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (ح: ١٨٣٥، ٣٧٥/١).

(٢) التحرير والتنوير، ٢١/٢٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (كتاب: كتاب الإيمان، باب: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾، ح: ٣١، ٢٠/١)؛ ومسلم في صحيحه: (كتاب: الفتن، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح: ٢٨٨٨، ٢٢١٤/٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٨/٢٤١.

لذا كان محتما على الناظر في كتاب الله تعالى أن يصدر من معينهم، ولا يخرج عن إجماعهم، وعلم الهدايات في إطاره العام لا بد أن يلحظ فيه ذلك، وإن كانت آحاده وتفصيله غير متناهية.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]؛ تفيد الآية فضيلة من آمن برسول الله ﷺ ولم يره، وهذا مأخوذ من جعل قوله تعالى: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع الحال، أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به، ويؤيد هذا أنه لما ذكر أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أصحاب رسول الله ﷺ وإيمانهم قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إن أمر محمد كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيث، ثم قرأ هذه الآية ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١)).

ومن الأمثلة أيضا قول الحسن البصري رحمه الله عند قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]؛ (أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر علي قلب بشر)^(٢)، ففي قوله رحمه الله إشارة إلى قيمة الإخلاص في الأعمال، وعظم جزائه عند ذي العزة والجلال.

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۖ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۖ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ۖ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢]؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هذا كله مثل ضربه الله لأهل الطاعة والمعصية)^(٣)، ويؤخذ من ذلك فضل أهل الطاعة وخسة أهل المعصية.

رابعا: الطرق المتعلقة بقرائن الوحي:

١ - فهم الآيات من خلال أحوال النزول:

العناية بأحوال النزول ضرورية لمن أراد تفسير القرآن؛ فمما يعين على معرفة تفسير الآية الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها، والمقصود بأحوال النزول أعم من السبب الخاص، فهو يشمل أسباب النزول، ومكانه، وزمانه، والواقع الذي نزلت فيه الآيات، كحالة الخوف أو الأمن، والقوة أو الضعف، والحالة الاجتماعية، ومنه المجتمع المكي والمدني، وما لكل

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ٣٦/١؛ والحاكم في مستدركه، (كتاب: التفسير، من سورة البقرة، ح: ٣٠٣٣، ٢٨٦/٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ٣١٠٧/٩.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي، ٥٩٧٠/٩.

واحد منهما من خصائص، فهذه الأحوال تلهم المتدبر بعضاً من المعاني التي قد لا يدلّ عليها ظاهر اللفظ.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ تفيد الآية تألّب المشركين كلهم على النبي ﷺ، وتداولهم الإغراء بتكذيبه وصد الناس عن اتباعه؛ ولهذا تكرر التحدي في هذه السورة التي نزلت في أول العهد بالهجرة إلى المدينة بعد التحدي في السور المكية، فأعيد لهم التحدي بإعجاز القرآن الذي كان قد سبق تحديهم به في سورة يونس وسورة هود وسورة الإسراء^(١).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]؛ في الآية اهتمام بدعوة بني إسرائيل إلى تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى؛ فبعد أن قدم الله تعالى دعوة الناس عموماً إلى عبادته وحده، وذكر مبدأهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، دعا بني إسرائيل خصوصاً، واستمر الحديث معهم في آيات كثيرة من السورة، فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها^(٢).

ولأنّ هذه السورة هي غرة السور المدنية، ولأنّ المدينة كان يسكنها اليهود، الذين هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وأكثرهم جدلاً في دينهم بما أوتوه من العلم قبلهم، أخذت دعوة بني إسرائيل هذا الجانب من الدعوة، وهي الدعوة الخاصة بعد دعوة الناس عامة، وكان ذلك من حكمة التبسط في الحديث معهم تارة، والحديث عنهم تارة أخرى، بألوان تختلف هجوماً، ودفاعاً، واستمالة، واستطالة في آيات كثيرة من السورة^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ في هذه الآية تنبيه إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى هذه الأمة؛ لأن الله تعالى

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٣٧/١.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٨٠/١.

(٣) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز، ص ٢٢١.

حوّل النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي المكي الأمي خاتم الأنبياء، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصّه بخصائص لم يعطها أحداً^(١).
والمقصود من الآية التعريض بأهل الكتاب بأن إعراضهم إنما هو حسد على زوال النبوة منهم، وانقراض الملك منهم، بتهديدهم وبإقامة الحجة عليهم في أنه لا عجب أن تنتقل النبوة من بني إسرائيل إلى العرب^(٢).

وهذا مستفاد من معرفة أحوال نزول صدر سورة آل عمران.

٢- التدبر في قراءة النبي ﷺ في الصلوات وبعض الأحوال:

في هذه الطريقة تظهر إفادة العلماء من هدي النبي ﷺ عند استنباط الهدايات، وذلك من خلال تدبر ما قرأه النبي ﷺ بنفسه، أو ما أمر بقراءته في بعض المناسبات، أو قرنه بين بعض السور والآيات.

ومن الأمثلة على ذلك سورة الفاتحة؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ بها في صلاته، وقال: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب))^(٣)، وما هذا إلا لما تحمله هذه السورة من الهدايات العظيمة، ولا عجب في ذلك فهي أعظم سورة في القرآن، وكثرة تراددها يؤدي إلى تكرار ورود ما تحمله من هدايات ودلالات على النفس، وكثرة الترداد مما يقرر المعنى في النفس ويؤكدده.

وأعظم تلك الهدايات في هذه السورة تحقيق التوحيد الخالص لله تعالى، والمتأمل في هدايات هذه السورة سيدرك تقريرها لهذا الغرض من وجوه عديدة^(٤).

ومن الأمثلة أيضاً حث النبي ﷺ على حفظ عشر آيات من سورة الكهف^(٥)، وسبب ذلك ما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فمن تدبرها وعلمها لم يفتتن

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٩/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٢١٢/٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، (كتاب: صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم، ح: ٧٥٦، ١٥١/١)؛ ومسلم في صحيحه، (كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ح: ٣٩٤، ٢٩٥/١).

(٤) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، ٥٦/١.

بالدجال، وكذا ما في آخر السورة في قوله تعالى: ﴿الْحَسْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ١٠٢] من المعاني المناسبة لحال الدجال^(٢).

ومن الأمثلة أيضاً قراءة الرسول ﷺ سورتي السجدة والإنسان في فجر الجمعة^(٣)، وذلك (لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها، فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر المعاد، وحشر العباد، وذلك يكون يوم الجمعة، وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون)^(٤)، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة))^(٥).

٣- تأمل الآيات من خلال مكتشفات العلوم الكونية:

إن القرآن الكريم متجدد في علومه وإشاراته وفي عطائه الممتد، وفيه من الإعجاز ما يشبع كل الأجيال عبر القرون، والنظر في مكتشفات العلوم التجريبية والكونية - وهو ما يسمّى بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم - وظفه بعض العلماء في استخراج الهدايات القرآنية؛ فالتدبر في الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية كونية كالسموات، والشمس، والقمر، والنجوم، والأرض، والجبال، والإنسان، وغيرها، إن كان عنده علم بها وبأحوالها سيظهر له من الهدايات ما لا يظهر لغيره، وهذا ظاهر عند من يعتني بهذه العلوم من المفسرين.

يقول ابن باديس (ت ١٣٥٩هـ) رحمه الله: (من أساليب الهداية القرآنية إلى العلوم الكونية أن يعرض علينا القرآن صوراً من العالم العلوي والسفلي، في بيان بديع جذاب،

(١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال))، وفي رواية: ((من آخر الكهف)). أخرجه مسلم في صحيحه، (كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ح: ٨٠٩، ١٩٩/٢).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٣/٦.

(٣) ثبت هذا في الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿آلَ تَنْزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾). أخرجه البخاري في صحيحه، (كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ح: ٨٩١، ٥/٢)؛ ومسلم في صحيحه، (كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة، ح: ٨٧٩، ٥٩٩/٢).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ص ٥٩٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، (كتاب: الجمعة، باب: فضل يوم الجمعة، ح: ٨٥٤، ٥٨٥/٢).

يشوقنا إلى التأمل فيها، والعمق في أسرارها. وهنا يذكر لنا ما خبأه في السموات والأرض لنشتاق إليه، وننبعث في البحث عنه، واستجلاء حقائقه، ومنافعه؛ بدافع غريزة حب الاستطلاع، ومعرفة المجهول، وبمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم، واستثمار ما في الكون إلى أقصى ما استطاعوا، ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم، ولن نغز عزهم إلا إذا فهمنا الدين فهمهم، وخدمنا العلم خدمتهم^(١).

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ قال ابن عاشور رحمه الله: (ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن باسم العلقه، فإنه وضع بديع لهذا الاسم؛ إذ قد ثبت في علم التشريح أن هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة هو كائن له قوة امتصاص القوة من دم الأم بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم، والعلقه: قطعة من دم عاقد. والمضغة: القطعة الصغيرة من اللحم مقدار اللقمة التي تمضغ...)^(٢).

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]؛ في الآية إشارة إلى عظمة القرآن في إثبات آيات انتهى إليها علم الإنسان، وذلك أن (السراج هو المصباح الذي نشعله ليعطي حرارة وضوءا ذاتيا، والمراد هنا الشمس؛ لأن ضوءها ذاتي منها، وكذلك حرارتها، على خلاف القمر الذي يضيء بواسطة الأشعة المنعكسة على سطحه، فإضاءته غير ذاتية)^(٣).

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ [القيامة: ٤]، قال الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) رحمه الله: (أرجو أن تقف قليلا عند تخصيصه البنان بالتسوية في هذا المقام، ثم تستمع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد، علم تحقيق الشخصية في عصرنا الأخير، وهو يقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان، حتى إنه لا يمكن أن تجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال، وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكموا البنان في كثير من القضايا والحوادث)^(٤).

(١) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص ٢٧٦.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٣/١٨.

(٣) تفسير الشعراوي، ١٧/١٠٤٩٣.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢٦/١.

٤- ربط الآيات بالواقع:

هدايات القرآن الكريم لا تنقضي ؛ فهي معان خالدة، وتزداد تجلياً كلما اقتضاها الواقع، وأسعفتها اللغة، مع النظر إلى مقاصد الدين وحكمه، وعدم إغفال فهم سلف الأمة. وقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) دالة على مراعاة الواقع كلما تغيرت ملابساته وأحواله.

والمحققون من المفسرين في استخراجهم للهدايات يتأثرون بالواقع ربطاً وتفسيراً، لكن ينبغي أن يتنبه إلى أنَّ ربط الآيات بالواقع لا بد فيه من مراعاة أسباب نزولها، والنظر في سياقها، ودلالات ألفاظها بلا تجاسر أو تلاعب يفضي إلى القول على الله تعالى بغير علم، وصرف الآيات عن مدلولها الصريح، وتفسيرها العملي الصحيح.

ومن أمثلة ربط المفسرين للهدايات بالواقع ما ذكره القرطبي (ت ٦٧١هـ) رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، حيث يقول: (قلت: هذا هو المقصود من الكتب العمل بمقتضاها، لا تلاوتها باللسان وترتيلها فقط، فإن ذلك نبذ لها ... فأمرنا باتباع كتابه والعمل بمقتضاه، لكن تركنا ذلك، كما تركت اليهود والنصارى، وبقيت أشخاص الكتب والمصاحف لا تفيد شيئاً، لغلبة الجهل، وطلب الرياسة، واتباع الأهواء)^(١).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوْنُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥]؛ قال ابن عاشور رحمه الله: (قد يقال: كان مقتضى الظاهر أن يقدم هنالك حكم منع تسليم مال اليتامى لأئمة أسبق في الحصول، فينتج لمخالفة هذا المقتضى أن نقول قدّم حكم التسليم، لأنّ الناس أحرص على ضده، فلو ابتدأ بالنهي عن تسليم الأموال للسفهاء لاتخذ الظالمون حجة لهم، وتظاهروا بأنهم إنما يمنعون الأيتام أموالهم خشية من استمرار السفه فيهم، كما يفعله الآن كثير من الأوصياء غير الأتقياء، إذ يتصدّون للمعارضة في بينات ثبوت الرشد لمجرد الشغب وإملاال المحاجير من طلب حقوقهم)^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٤٣٧/١.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٣٤/٤.

ومن خلال هذه الهداية المتعلقة بالواقع يتبين لنا دلالة الآية الكريمة على دقة القرآن الكريم في التحسب لخفايا النفوس ومكرها في كل عصر وحين، مما يبرهن بما لا يدع مجالاً للشك أنه تنزيل من العالم بالخبيا، وما تكن الصدور.

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره الرازي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ (ولعمري من تأمل أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما أنزلت إلا في شأنهم، وفي شرح أحوالهم، فترى الواحد منهم يدعي أنه لا يلتفت إلى الدنيا، ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات، وأنه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين، حتى إذا آل الأمر إلى الرغبة الواحد تراه يتهالك عليه ويتحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله)^(١).

خامساً: الطرق المتعلقة بمقاصد القرآن، وأصول التشريع:

١- استنباط مقاصد القرآن الكريم:

علم مقاصد القرآن الكريم وسوره من العلوم الاستنباطية الاجتهادية، وقد اعتنى به كثير من المتأخرين، والمقصود به معرفة مغزى السورة الذي ترجع إليه معانيها ومضمونها، وبعضهم يبحث تحت مسمى الوحدة الموضوعية، وله ارتباط وثيق بالمناسبات، ومقصد السورة نوع من أنواع الهدايات، وقد اجتهد العلماء في استنباط مقاصد السور من خلال تكرار النظر في مضامينها ومعانيها.

ولم يكن يعرف عند المتقدمين بهذا الاسم؛ وإنما كانوا يذكرون ما تدور حوله السورة، قال الزجاج (ت ٣١١هـ) رحمه الله عن سورة الأنعام: (... وأن أكثرها احتجاج على مشركي العرب، على من كذب بالبعث والنشور)^(٢).

ثم ظهر هذا المصطلح بين العلماء، قال أبو جعفر الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) رحمه الله: (... سورة القمر بأسرها مقصودها تذكير كفار العرب من قريش بما نزل بمن تقدّمهم من مكذّبي الأئمة)^(٣)، حتى أصله وطبقه وصنّف فيه البقاعي رحمه الله، فقد قال: (فإن كل سورة لها مقصد واحد، يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها...)^(٤)، ومن كلامه في

(١) مفاتيح الغيب، ٣٤/١٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، ٢٢٧/٢.

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل، ٤٦٠/٢.

(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ١٤٩/١.

مقاصد السور قوله في مقصود سورة البقرة: (مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال ...) ^(١).

وينبغي التنبيه إلى أنه قد يكون للسورة أكثر من مقصد، وأن هذا الاستنباط اجتهادي تختلف فيه أنظار العلماء، وينبغي أيضا البعد عن التكلف فيه.

ومن أمثلة الهدايات المستخرجة من مقاصد السور ما يؤخذ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]؛ في السورة براعة استهلال بما يتناسب مع أغراض السورة ومقاصدها التي منها مقصد بناء المجتمع السليم القوي، وما يقود إلى ذلك من أحكام القرابة بالنسب، والمصاهرة، وما يتعلق بذلك من أحكام الأنكحة، والمواثيق ^(٢).

ويقول الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله: (وسورة المؤمنون نازلة في قضية واحدة، وإن اشتملت على معان كثيرة فإنها من المكيات، وغالب المكى أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد، وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى: أحدها: تقرير الوجدانية لله الواحد الحق. والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد، وأنه رسول الله إليهم جميعا. والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة، وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة) ^(٣).

وفي سورة الرحمن يقول البقاعي رحمه الله: (يفيد اسمه الرحمن أن من مقتضى اسمه انبثقت جميع النعم؛ ولذا ذكر في هذه السورة أمهات النعم في الدارين) ^(٤).

٢- الصدور عن أصول الشريعة:

انتظام الهداية القرآنية في أصول الشريعة وقواعدها، وعدم مخالفة شيء منها؛ أمر ضروري، فمن المهم ألا يغفل المستخرج لهدايات القرآن الكريم عن أن تكون هداياته المستنبطة متسقة مع روح الشريعة، منتظمة مع أصولها وقواعدها، لا تضادها ولا تختلف معها.

ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام لما بشر بيحيى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنْتُ لِي غُلَامًا﴾ [آل عمران: ٤٠]، قاله استبعادا من حيث العادة، أو

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥٥/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٢١٤/٤؛ وتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٦٤/٤.

(٣) الموافقات، ٢٦٩/٤.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٤١/١٩.

استعظاما، أو تعجبا، أو استفهاما عن كيفية حدوثه^(١)؛ فيكون مفيدا أن السؤال لتلك الأسباب يقع مع كمال رتبة الرسل؛ فمن غيرهم أولى.

وهذه الأجوبة أجاب بها المفسرون لئلا يتوهم ما لا يجوز في حق زكريا عليه السلام، من الشك أو الإنكار أو التكذيب؛ فلا بد في الهداية المأخوذة من الآية من موافقتها للأصول الشرعية.

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَعَآيَتِهِ وَرُسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٢) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥ - ٦٦]؛ في الآية دلالة على أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين؛ وهذه الهداية مبنية على الأصل المعروف في الشرع، وهو أن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة^(٣).

ومن أمثلة الصدور عن الأصول الاعتقادية لأهل السنة قول الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧]: (وأوضحنا أن ما أوعده به الكفار لا يخلف بحال، كما دلت عليه الآيات المذكورة، أما ما أوعده به عصاة المسلمين، فهو الذي يجوز ألا ينفذه وأن يعفو، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨])^(٣).

٢- استحضار حكم التشريع وأسراره:

المقصود بذلك الغايات التي شرعت لأجلها الأحكام، وهي من أكثر ما يهدي المستنبط للوصول إلى الهداية، وكلما استحضر المتدبر مقاصد أحكام الشريعة عند تدبره لآيات القرآن تجلّت له الكثير من الهدايات، وهذه الطريقة استعملت كثيرا عند المفسرين، لا سيما المتأخرين منهم.

ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجِئْكَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] مع ما سبق من الآيات في شأن البقرة، فقد ذكر ابن عاشور رحمه الله

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١٥/٢.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٤٢.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٢٧٦/٥.

أن ذلك يفيد (تعليم المسلمين بأصول التفقه في الشريعة، والأخذ بالأوصاف المؤثرة في معنى التشريع)^(١).

وهذا الاستنباط مبني على النظر إلى الغاية التي شرع الحكم لأجلها، وهي المبادرة والامتثال، وعدم التباطؤ بحجة البحث عن أوصاف لا تأثير لها في الحكم.

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]؛ ﴿حَتَّى﴾ هنا لانتهاء الغاية، ولكن لا تقتضي الآية أن من أنفق مما يحب صار من جملة الأبرار ونال البر، وإن لم يأت بسائر الطاعات؛ لأن في ذلك تضييعاً لجميع الخصال المحمودة في الدين، وتفويتاً للحكم التي شرعت لها^(٢).

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره ابن عاشور رحمه الله تعالى عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] حيث يقول: (ووجه النهي عن سب أصنامهم هو أن السب لا تترتب عليه مصلحة دينية؛ لأن المقصود من الدعوة هو الاستدلال على إبطال الشرك وإظهار استحالة أن تكون الأصنام شركاء لله تعالى، فذلك هو الذي يتميز به الحق عن الباطل، وينهض به الحق ولا يستطيعه المبطل، فأما السب فإنه مقدور للمحق وللمبطل؛ فيظهر بمظهر التساوي بينهما، وربما استطاع المبطل بوقاحتته وفحشه ما لا يستطيعه المحق، فيلوح للناس أنه تغلب على المحق، على أن سب آلهتهم لما كان يحمي غيظهم ويزيد تصلبهم قد عاد منافياً لمراد الله من الدعوة)^(٣)، واستنباطه رحمه الله هذه الهداية بالنظر إلى مقاصد الشريعة في الدعوة إلى الحق.

(١) التحرير والتنوير، ٥٥٦/١.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٨٨/٨؛ وتفسير المنار، ٣٠٦/٣.

(٣) التحرير والتنوير، ٤٣٠/٧.

المبحث الرابع: إطلاقات العلماء للهدايات القرآنية

تنوعت إطلاقات العلماء في تعبيرهم عن الهدايات القرآنية، ومن أبرز هذه الإطلاقات ما يأتي^(١):

أولاً: الدلالة: كأن يقال: دلت هذه الآية على كذا، أو تدل على كذا، أو فيها دلالة على كذا، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره السعدي رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] حيث يقول: (ودلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك)^(٢).

ومن الأمثلة أيضاً قول الرازي رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]: (والآية تدل على أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، وإلا لما قدر على إظهار ما كتموه)^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً قول الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعَايَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]: (في الآية دلالة لزوم الاتباع لرسول الله ﷺ في كل ما يخبر ويأمر به، وفي كل فعل يفعل في نفسه، إلا فيما ظهرت الخصوصية، فأما فيما لم تظهر فعلى الناس اتباعه فيما يخبر ويفعل)^(٤).

ثانياً: الإرشاد: كأن يقال: أرشدت هذه الآية إلى كذا، أو ترشد هذه الآية إلى كذا، أو فيها إرشاد إلى كذا، ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ [البقرة: ٨٥] يقول ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله: (والذي أرشدت إليه الآية الكريمة وهذا السياق ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها، ومخالفة شرعها، مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالصحة)^(٥).

(١) هذه الإطلاقات مستفادة في مجملها مما كتبه د. طه عابدين في بحثه ضمن الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية،

مع بعض التصرف حسب ما يقتضيه المقام، لا سيما في التمثيل والاستشهاد، وللاستزادة ينظر: ٥٨/١ - ٧٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٣٨.

(٣) مفاتيح الغيب، ٥٥٢/٣.

(٤) الإكليل في استنباط التنزيل، ص ٢٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ٣٢٠/١.

ومن الأمثلة أيضا ما ذكره المراغي (ت ١٣٧١هـ) رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، حيث يقول: (والآية ترشد إلى أنَّ الإنسان يعاقب على ترك المعروف كما يعاقب على فعل المنكر؛ لأنَّ الترك في الشهادة بكتماها فعل للنفس تترتب عليه آثار تضر غيرها)^(١).

ومن الأمثلة أيضا قول القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْفُتُورَ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوَفْ لَنَا الْكَفِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]: (في الآية إرشاد إلى أدب جليل، وهو تقديم الوسائل أمام المآرب، فإنها أنجح لها)^(٢).

ثالثا: الفائدة: كأن يقال: أفادت هذه الآية كذا، أو تفيد هذه الآية كذا، أو فائدة هذه الآية كذا، أو من فوائد الآية كذا، ومن الأمثلة على ذلك قول البقاعي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]: (فقد أفادت هذه الآية أنَّ من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ﷺ فليس ممن عني الله بهذه الآية)^(٣).

ومن الأمثلة أيضا قول ابن عاشور رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]: (وهذه الآية تفيد التنويه بهذه الكلمة المباركة؛ لأنه أمر بأن يقول هذه الكلمة بعينها، ولم يؤمر بمجرد التوكل كما أمر في قوله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، ولا أخبر بأنَّ الله حسبه مجرد إخبار كما في قوله: ﴿فَإِنْ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢])^(٤).

ومن الأمثلة أيضا قول ابن العربي رحمه الله (ت ٥٤٣هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤]: (فائدة هذه الآية تعظيم أمر الصلاة؛ فإنها لما كانت أفضل الأعمال وأعظمها أجرا كان منعها أعظم إثما، وإخرااب المساجد تعطيل لها وقطع بالمسلمين في إظهار شعائرهم وتأليف كلمتهم)^(٥).

(١) تفسير المراغي، ٧٥/٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٦٠.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٤٤/١٩.

(٤) التحرير والتنوير، ٧٤/١١.

(٥) أحكام القرآن، ٥٠/١.

ومن الأمثلة أيضا قول الرازي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]: (الفائدة الثانية من فوائد الآية: أن آدم عليه السلام لما لم يستغن عن التوبة مع علو شأنه؛ فالواحد منا أولى بذلك)^(١).

رابعاً: البيان: كأن يقال: بينت هذه الآية كذا، أو تبين هذه الآية كذا، أو في هذه الآية بيان كذا، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُلِي الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]: (وقد بينت هذه الآية حكمة القصاص بأسلوب لا يسامى، وعبرة لا تحاكي)^(٢).

ومن الأمثلة أيضا قول الشنقيطي رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣]: (... فهذه الآيات تبين أن الذي يستحق أن يعبد هو من يخلق الخلق، ويبرزهم من العدم إلى الوجود، أما غيره فهو مخلوق مربوب، محتاج إلى من يخلقه، ويدبر شؤونه)^(٣).

ومن الأمثلة أيضا قول الرازي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]: (... فإن المقصود في هذه الآية بيان تقبيح السرقة، والمبالغة في الزجر عنها)^(٤).

خامساً: الإشارة: كأن يقال: أشارت هذه الآية إلى كذا، أو تشير إلى كذا، أو فيها إشارة إلى كذا، ومن الأمثلة على ذلك قول البقاعي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفَرُوا رَبَّهُمْ نَبُوءَاتُ إِلَيْهِ يَمِيعُكُمْ مَّتَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]: (أشارت الآية إلى أن الاستغفار والتوبة سبب السعة)^(٥).

ومن الأمثلة أيضا قول الشنقيطي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]: (وقال بعض العلماء: المراد بقراءة الجر:

(١) مفاتيح الغيب، ٤٧١/٣.

(٢) تفسير المنار، ١٠٥/٢.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٣٣٠/٢.

(٤) مفاتيح الغيب، ٣٥٢/١١.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢٩/٩.

المسح، ولكن النبي ﷺ بين أن ذلك لا يكون إلا على الخف؛ وعليه فالآية تشير إلى المسح على الخف في قراءة الخفض^(١).

ومن الأمثلة أيضاً قول ابن عاشور رحمه الله: (في تعقيب قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إشارة إلى أنه وليُّ التصرف في الدنيا والآخرة^(٢).

سادسا: الفهم: كأن يقال: يفهم من هذه الآية كذا، أو المفهوم من هذه الآية كذا، أو في الآية كذا، ومن الأمثلة على ذلك قول القاسمي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَحَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]: (يفهم من الأمر بالتفسيح النهي عن إقامة شخص ليجلس أحد مكانه)^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً قول الرازي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]: (... لأننا قد دللنا على أن المفهوم من هذه الآية أن من أدرك جزءا من رمضان لزمه صوم كل رمضان، والمجنون إذا أفاق في أثناء الشهر فقد شهد جزءا من رمضان؛ فوجب أن يلزمه صوم كل رمضان، فإذا لم يمكن صيام ما تقدم فالتضاء واجب)^(٤).

ومن الأمثلة أيضاً قول ابن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]: (فالمراد هنا ادعوا آلهتكم بقرينة قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ادعوه من دون الله كدأبكم في الفرع إليهم عند مهماتكم معرضين بدعائهم واستنجاههم عن دعاء الله واللجأ إليه؛ ففي الآية إدماج توبيخهم على الشرك في أثناء التعجيز عن المعارضة)^(٥).

سابعا: الأخذ: كأن يقال: أخذ من هذه الآية كذا، أو يؤخذ من هذه الآية كذا، أو هذا مأخوذ من الآية، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَفُتِيمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ لَا نُشْتَرِ بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٣٣٦/١.

(٢) التحرير والتنوير، ١٧٥/١.

(٣) محاسن التأويل، ١٧١/٩.

(٤) مفاتيح الغيب، ٢٥٦/٥.

(٥) التحرير والتنوير، ٣٣٩/١.

قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿[المائدة: ١٠٦]: (وأما حكم تغليظ اليمين فقد أخذ من الآية أَنَّ اليمين تقع بعد الصلاة، فكان ذلك أصلاً في تغليظ اليمين في نظر بعض أهل العلم)^(١).

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره ابن جزري (ت ٧٤٩هـ) رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ [الحديد: ١٠]: (يؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة أعظم أجراً ممن أنفق في حال الرخاء)^(٢).

ومن الأمثلة أيضاً قول ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]: (أي: طهراه من الشرك والريب، وبنياه خالصا لله، معقلاً للطائفين والعاكفين والركع السجود، وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية، ومن قوله تعالى: ﴿فِي يُبُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُودِ وَالْأَصَالِ﴾ [النور: ٣٦]، ومن السنة من أحاديث كثيرة)^(٣).

ثامناً: التنبيه: كأن يقال: نهت الآية على كذا، أو تنبه الآية على كذا، أو في الآية تنبيه على كذا، ومن الأمثلة على ذلك قول القرطبي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿[المؤمنون: ٨٤، ٨٥]: (ونبهت على أن من ابتدأ بالخلق والاختراع والإيجاد والإبداع هو المستحق للآلوهية والعبادة)^(٤).

ومن الأمثلة أيضاً قول الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبُهُمْ إِلَيَّ بَعْضٌ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]: (في الآية تنبيه أن ليس المانع للإنسان عن تحري الإيمان الجهل به فقط، بل قد يكون عناده وغلبة شهوة)^(٥).

ومن الأمثلة أيضاً قول البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ تنبيه على أن ما وعده لهم على

(١) التحرير والتنوير، ٩٧/٧.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ٣٤٤/٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤٢١/١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٤٦/١٢.

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني، ٢٣٦/١.

التقوى تفضل منه وإحسان، وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاماً على عمل^(١).

تاسعاً: التضمن: كأن يقال: تضمنت الآية كذا، أو تتضمن الآية كذا، ومن الأمثلة على ذلك قول البقاعي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]: (تضمنت الآية الاعتبار من قصص الرسل بما فيها من حسن صبرهم على أممهم، واجتهادهم على دعائهم إلى عبادة الله بالحق، وتذكير الخير والشر، وما يدعو إليه كل منهما من عاقبة النفع والضرر، للثبات على ذلك جميعه اقتداء بهم)^(٢).

ومن الأمثلة أيضاً قول السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَغْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: ١١١]: (وانظر إلى ما تضمنته هذه الآية الكريمة من التأكيد، فمنها: التوكيد بأن، وبكل، وبلام الابتداء الداخلة على خبر إن، وزيادة "ما" على رأي، وبالقسم المقدر، وباللام الواقعة جواباً له، وبنون التوكيد، وبكونها مشددة، وإردافها بالجملة التي بعدها من قوله: ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ فإنه يتضمن وعيداً شديداً للعاصي ووعداً صالحاً للطائع)^(٣).

هذه جملة من أبرز الألفاظ التي عبر بها المفسرون عن الهدايات المستفادة من الآيات، وبعض الأمثلة عليها، وهناك ألفاظ أخرى استعملها المفسرون كالإيماء، والإيحاء، والإشعار، والإيذان، والمقصد، والثمره، وغيرها، والناظر المتأمل في كتب التفسير سيجد أمثلة على ذلك.

وتجدر الإشارة إلى أن تلك الألفاظ ليست دالة على الهدايات متى ما ذكرها المفسرون، فقد تطلق ولا يقصد بها معنى الهداية.

وقد يذكر المفسرون الهداية دون استعمال تلك الإطلاقات التي تعبر عن الهدايات، وتتضح الهداية من خلال سياق تفسيرها، ومن ذلك قول الطبري (ت ٤١٠هـ) رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: (يقول تعالى ذكره: وما يعطى دفع

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥٧/٣.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٠٥/٩.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٤١٦/٦.

السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكاره، والأمر الشاق؛ فهذه العبارة تشير إلى هداية.

وفي المقابل جاء بعض المعاصرين بإطلاقات في عناوين خاصة بها، تحت مسمى الهدايات، أو الفوائد، أو فقه الحياة والأحكام، أو نتائج وأحكام السورة، أو غير ذلك من العناوين، ومن أبرز التفاسير التي انتهجت ذلك النهج: تفسير القرآن الكريم^(١)، والتفسير المنير^(٢)، وأيسر التفاسير^(٣)، والتفسير المأمون^(٤).

-
- (١) تأليف الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، (ت ١٤٢١ هـ) رحمه الله.
(٢) تأليف الشيخ الدكتور: وهبة بن مصطفى الزحيلي، (ت ١٤٣٦ هـ) رحمه الله.
(٣) تأليف الشيخ: أبي بكر جابر بن موسى الجزائري، (١٤٣٩ هـ) رحمه الله.
(٤) تأليف الشيخ الدكتور: مأمون حموش.